البابُ الثاني

أوصَاف الناس في التواريخ والصلات

القسم الثاني

ومن ذلك (1) ما ثبت فى « الاكليل الزاهر ، فيمن (83 : ب) فضل عند نظم التاج من الجواهر » (2) فى وصف :

1 ــ الخطيب ابى عبد الله الساحلى المالقى

الولــى ــ نفع الله بــه (3)

عابد لا يفتر عن عبادة ، وولى ظهرت عليه أنوار سعادة ، لم يدع وقتا من عمره الا عمره ، ولا دوحا من الذكر الا جنى ثمره . فضربت

---

1) اسم الاشارة يعود على ما تضمنه مؤلف ابن الخطيب « الريحانة » أيضا .

2) يشمل القسم الاول من الاوصاف التراجم التى مرت من أول الكتاب الى هنا ، والتى اجتزاها المؤلف من كتابه « التاج المحلى » ، فى مساجلة القدح المعلى ، كما عبر عن ذلك فى البدايــة .
راجع : مقدمة الكتاب ، (ريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب) لوحة 1 . ب ، مخطوط الاسكوريال ، تحت رقم 1835 من فهرست الغزيــرى .

اما «الاكيل» فهو احد مؤلفات لسان الدين ابن الخطيب التى ترجم فيها لبعض الاعلام من معاصريه ، أمثال شيخه ابن الجياب ، وابن مقاتل المالقى ، ومحمد بن على العبدرى ، وأبى القاسم العزفى السبتى ، وغيرهم فى هذا القسم مــن « الاوصاف » . ويعتبر كتاب « الاكليل » مكملا لكتاب « التاج المحلى » للمؤلف أيضا ، وقد ورد بعده فى المخطوط رقم 554 الغزيرى بالاسكوريال ، ويشغل به من لوحة 117 م . الى 134 ب . وقد نقل المقرى منه بعضا فــى التـــراجـــم .
راجع : المقرى فى « نفح الطيب » جـ 4 ص 446 ــ 447 ، وعنان فى كتابه : « لسان الدين ابن الخطيب » ص 251 .

3) هو الشيخ الخطيب الصالح أبو عبد الله محمد بن احمد الساحلى المالقى ، المتوفى عام 635 هـ ترجم له المؤلف ايضا فى كل من « الاحاطة » ، و « الكتيبة الكامنة » كما ترجم له الحضرمى فى فهرسه ، وابنه فى كتابه « بغية المسالك » انظر : نيل الابتهاج ص 235 (ط. فاس) والكتيبة ص 45 .

اليه الركائب أرباب السلوك ، وعظم فى قلوب الامراء والملوك . وخطب السفارة فى صلاح ذات البين ، واتصال أهل الدولتين (4) .

وأما الخطابة ، فكان من فرسانها ، وذوى احسانها ، يعبر عن الوقائع والاحوال بمختلفات الاقوال ، فى أسلوب جهير ، ومقام شهير .

وله خلف متسم بالخير والعفاف ، متصف من الديانة بأحسن الاوصاف .

ومن ذلك فى وصف :

2 ــ أبى جعفر الشاطبى (5)

الشيخ الفاضل أبو جعفر ــ رحمه الله ــ شيخ طالت مصاحبته

---

4) يعنى بالدولتين : المغرب والاندلس .

5) نسبة الى شاطبة Jatina أحد القواعد الاندلسية زمن المسلمين ، وهى اليوم بلدة صغيرة ، تقع على بعد خمسين كيلومترا تقريبا جنوب غربى بلنسية ، قرب البحر الابيض المتوسط ، وبينها وبين بلنسية بسيط اخضر جميل ، تحده الجبال من الجانبين ، ممتدا على ضفة نهر البيضاء Albaida أحد فرع نهر شقر . ويرجع تاريخ شاطبة الى العصر الفينيقى ، وفى العهد الرومانى امتازت المدينة بالازدهار ولبثت أيام القوط فى رخاء ، وفى العصر الاسلامى ازدادت اهمية ونشاطا الى أن استردها الاسبان بعد حصار مرير فى عهد الملك خايمى الاول عام 647 هـ (1249 م) . هذا وتشتهر شاطبة اليوم بأديرتها وقصورها العتيقة ، وبحصنها الشهير باعلا ربوة فيها ، وتزدان المدينة بالميادين الاثرية ذات التماثيل والناعورات ، وتضاهى الى حد كبير فى طرازها الاثرى مدينة مرسية المعروفة ، ويعمر متحفها بمختلف الاجزاء الاثرية من العصر العربى خاصة .
اما المترجم له فهو الشيخ أبو جعفر أحمد بن عتيق الشاطبى ، من قدماء اساتذة الاندلس وقضاتها المعروفين بضبط الوثائق ، والبصر بعللها ، توفى ببرجة عام 743 هـ عن سن تناهز التسعين ، بعد عزله عن منصبه .
راجع : محمد عبد الله عنان فى (الآثار الاندلسية الباقية) ص 139 ــ 140 ، (القاهرة ط 2 سنة 1961 م) ونيل الابتهاج ، ص : 46 (ط. فاس) .

ومسكين ، وذبح بغير سكين (6) .
للانساء ، ومصابحته للاصباح والامساء . طالما نظر (84 . أ) بين قوى

يقضي عمره فى الحقوق ، ويهب بين الرعود والبروق . قطع فـى ذلك ــ زمانه ، وند أقرانه . واكتسب مالا ، وبلغ فى الدهر آمالا ، ثم أوبقته (7) أشراك الحمام ، وكل شيء فالى تمـام .

وله شعر تلوح عليه ــ من الحسن ــ مسحة ، وتنم منه ــ للطرف ــ نفحـــــة .

ومن ذلـك فى وصـف :

3 ــ الخطيب ابن علـى القرشـى (8)

شهاب فى أفق الدين متألق ، وسهم على فريسة النجاة ــ محلق ، وعارف ــ بأخلاق الرجال ــ متخلق . كثير الانقباض ، معرض عـن الاعراض . كلف بما للقوم من المقاصد والاغراض . ملازم كسر بيته على ذكر يردده ، ولباس اخلاص على الاحيان يجدده ، وسهم بحث الى هدف تلك الاسرار يسدده . فاذا تردد الى المسجد الاعظم محل اقامته ،

---

6) اشارة الى الحديث الشريف ، « من افتى بغير علم ذبح بغير سكين » واذن فالكناية فى تعبير المؤلف تعنى أن المترجم له كان يتصدر للقضاء والفتوى .

7) فعله « وبق » كوعد ووجل ، والمصدر « وبوقـا » ، و « موبقا » بمعنى الهلاك ، واوبقـه حبسه أو أهلكه ، كذا فى اللسان والقاموس .

8) هو الشيخ الخطيب أبو على بن على بن عتيق بن أحمد القرشى ارتحل وقصد الحج ولقى فى طريقه شيوخا اجلاء فاخذ عنهم وتولى الخطابة بالجامع الاعظم فى غرناطة فترة تربو على اثنتين وثلاثين سنة ، وقد ولع بالتصوف ــ ترجم له الحضرمى ، ونقل عنه صاحب ــ نيل الابتهاج ص 177 (ط. فاس) .

ومسحب غمامته ــ انثال (9) الناس على أطرافه ، فى قصده وانصرافه ، فتسعهم بشاشة لقائه ، وتحييهم بركة دعائه .

ومضى لسبيله صدرا من صدور الصالحين ، وعلما من عباد اللــه (84 . ب) المفلحين وكانت جنازته مثلا فى الاحتشاد لها والاحتفال ، وعنوانا على العناية من ذى الجلال .

ومن ذلــك فى وصــف :

4 ــ القاضى أبــى عمر بــن منظور (10)

صاحب نظر وبحث ، ومعاطاة لاكواس الفنون وحث . لا يزال يفى أديمها ، ويجمع حديثها وقديمها ، وهو أحد أعلام هذا القطر ، أولى المكانة الرفيعة والخطــر .

ولى قضاء رية (11) غير ما مرة ، فساس وسدد ، وأسس وجدد ، ومن سنن الفضلاء مــا جــرد .

الى مجلس ممتع ، وفهم الى الغوامض والعلوم مسرع ، ودعابة تتفلت من خلال وقاره ، وتغالب على مقداره .

---

9) انثال الناس على أطرافه ، كناية عن اقبالهم عليه فى تجلة واحترام ، لعلمه وفضلــــــه .

10) هو الشيخ القاضى أبو عمر عثمان بن محمد بن يحيى بن منظور القيســى المتوفى عام 735 هـ ببلده مالقة ترجم له ابن الخطيب فى كل من الاحاطة وعائد الصلة ، ونقل عنه القاضى النباهى فى « المرقبة العليا » ص 147 .

11) احدى ولايات الاندلس القديمة من نواحى مالقة ، كان ينزل بها جند الاردن زمن الفتح العــربــى .

وشعره قليل جدا ، لم يعركه هزلا ولا جدا . الا أننى رأيت بخطه أبياتا من نظمه على ظهر فهرسة الوزير أبى بكر بن الحكيم (12) .

ومن ذلك فى وصف :

5 ــ الخطيب ابن الطاهر بن صفوان المالقى

علم من أعلام هذه البقعة ، ورخ من رخاخ هذه الرقعة ، اقتفى أثر الصالحين واقتصه ، واقتدى بمن تولاه الله واختصه ، (85 . أ) فلو تمثل الخير لكان شخصه ظهرت عليه بركات مكة والمدينة ، فلبس شعار السكينة ، وتواضع على التربية المكينة ، وحصل من أسرار القوم على الدرر الثمينة . فكان يتكلم على مصنفاتهم ، ويتصف بصفاتهم ، فيأتى بالعجائب فى فك تلك الرموز وايضاحها ويتحف منهما الصدور بانشراحها .

---

12) ذكر ابن الخطيب 8 « الكتيبة » ان كتاب هذا الوزير يسمى « الفوائد المنتخبة ، والموارد المستعذبة » .

اما الابيات التى نظمها ابن منظور فى ظهر الكتاب فنصها :

قد جمع الحكم وفصل الخطاب ... ما ضمه مجموع هذا الكتاب

من ادب غض ومن علة ... فتسابقوا للخير فى كل باب

فجاء فذا فى العلا والنهى ... ومنتقى صفو لباب اللباب

الفه الحبر الجليل الذى ... حاز العلا ارثا وكسبا فطاب

هذا ، والوزير أبو بكر الحكيم هو الكاتب ابن ذى الوزارتين ابى عبد الله بن الحكيم ، توفى عام 750 هـ وقد ترجم له ابن الخطيب فى « الاحاطة » ج 2 ص 99 ــ ، كما ترجم له كذلك فى « أوصاف الناس »

13) هو الشيخ محمد بن أحمد بن حسين بن صفوان القيسى المالقى ، ترجم له المؤلف ايضا فى « الكتيبة » 54 .

حضرت معه غير ما مرة فراقنى محضره ، وبهر فى تلك المعانى نظره . وله نظمه ــ رحمه الله ــ وكان لا ينتحل النظم ولا يتعطاه ، ولا يحث فيــه خطــاه (14) .

ومن ذلــك فى وصــف :

6 ــ الشيخ أبى عبد الله الطرطوشى (15)

معدود فى الصدور ، ومنظوم فى الشذور ، ومسحوب فيمن أطلعته آفاق هذه الدور ، من النجوم المشرقة والبدور . ينظر فى معقول ومنقول ، ويستظهر على المشكلات بفرند وذهن مصقول الى خط وظرف ، وفكاهة كالروض فيمن رأى وعرف ، ترقى للبــر سناما ، ولقى من الدولــة

---

14) ينعى عليه انه لا يبدى جهدا يتناسب وقرض الشعر الجيد .

15) نسبة الى « طرطوشة » Tartosa احدى المدن الاسبانية الواقعة على نهر « ابــرو » الذى يشق ولاية اراجون فى الشمال ، تحيط بها الجبال عن بعد ، ويشقها هذا النهر الى قسمين ، وهى ذات بسيط من الحدائق والحقول النضرة ، والغابات الكثيفة من النخيل . وتوجد باطرافها اطلال القلعة القديمة سقطت طرطوشة فى ايدى النصارى عام 543 هـ (1148 م) بالتسليم صلحا ، وتوجد بكنيستها الآن لوحة حجرية اسلامية مربعة تقريبا بمساحة نصــف متر ، ذات نقش عربى ما زال معظمه باديا ونصه :
« بسم الله الرحمن الرحيم امر بانشــاء هذه الدار عدة للصناعة والمراكب عبد الله بن محمد بعون الله ونصره فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وكتب عبد الله ابن كلــيب » .
نسب الى هــذه المدينة ابــو بكر الطرطوشى صاحب كتــاب « ســراج الملوك » المتوفى عام 520 هـ (1126 م) ، وبها مرصد طرطوشة المشهور ، كما أن للمدينة تاريخها العلمى الثقافى منذ العصر الاسلامى .
راجع . عبد الله عنان فى « الاثار الباقية فى الاندلس » ص 120 ــ 122 .

النصرية (16) (85 . ب) اكراما الى أن فسد ما بين مدبرها ابن المحروق وبينه ، ونميت له عنه هنات أو غرت صدره ، وأقذت عينه ، فغربه (17) بعدما قربه ، وجفاه من بعد ما اصطفاه فجم فى الاغتراب ــ حينه ، واقتضى ببعض البلاد الافريقية دينه .

وكان لا ينتحل الشعر بضاعة ولا يعول عليه صناعة . وربما رمى غرضه فأصاب واستمطر له غمام معارفه فصاب .

ومن ذلك فى وصف :

7 ــ الفقيه ابن عبد الله بن الحاج من أهل مالقة

شاعر اتخذ النظم بضاعة ، وما ترك السعى فى مذاهبه ساعة أجرى فى الملاء لا فى الخلاء ، وجعل دلوه فى الدلاء ، وركض فى حلبة النجباء والنجائب ، ورمى بين الخواطى بسهم صائب . فخرج بهرجه ونفق ، وارتفد ــ بسببه ــ وارتفق .

وهو الآن ــ قد سالمته السنون ، وكأنها أمن المنون ، وهو رجل مكفوف الاذى ، حسن الحالة اذا هذى ! !

---

16) الدولة النصرية ، آخر دولة للمسلمين بالاندلس ، وتعرف أيضا بدولة بنى الاحمر ، وقد حكمت مملكة غرناطة ما يربو عى مائتين وخمسين عاما (635 ــ 897 هـ = 1238 ــ1492 م) مؤسسها محمد بن يوسف ابن الاحمر ، وآخر ملوكها ابو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن يوسف النصرى .
راجع : « كناسة الدكان بعد انتقال السكان » ص 16 ــ 21 للمحقق (القاهرة 1968 م) .

17) غربه ، بتشديد الراء يعنى . ابعده عن مجلسه ، وربما عن البلاد .

ومن ذلك فى وصف :

8 ـ الشيخ الوزير على بن غفرون

(68 . أ) شيخ خدم ، قام له الدهر فيها على قدم ، وصاحب تعريض ، ودهاء عريض ، وفائز من الدولة النصرية بأياد بيض .

أصله من حصن منتفريد (18) حرسه الله . خدم الدولة النصرية عند انتزاء أهله ، وكان ممن استنزلهم من حزنه الى سهله ، وحكم الامر العالى فى يافعه وكهله . فاكتسب حظوة أرضته ، ووسيلة أرهفته وامضته ، حتى عظم جاهه وماله ، وبسقت آماله . ثم دالته الدول وتنكرت أيامه الاول، وتغلب من يجانسه، وشقى بين (من) كان ينافسه، فخف عوده والتاثت سعوده ، وهلك والخمول يعله ، والدهر يقوته من صبابة حرث كان يستغله.

وكان له شعر لم يثقفه النظر ، ولا وضحت منه الغرر ، كتب الى السلطان أمير المسلمين منفق سوق خدمته ومتعهده بنعمته ، يطلب تجديد بعض غاياته ، ما ثبت فى الكتاب المذكور (19) .

ومن ذلك فى وصف :

9 ـ الوزير الكاتب أبى عبد الله بن عيسى (20)

(86 : ب) من أعلام هذا الفن ، ومشعشعى هذه الدن ، مجموع أدوات، فارس براعة وذوات . ظريف المنزع، أنيق المرأى والمسمع. اختص بالرياسة فأدار فلك امارتها ، واتسم باسم كتابها ووزرائها ، ناهضا

---

18) . منتفريد Monteferio مدينة اندلسية صغيرة ، موقعها شمال مدينة لوشة .

19) يشير الى كتابه « الإكليل الزاهر » السابق الاشارة اليه فى بداية القسم الثانى من « الاوصاف » .

20) هو الكاتب الوزير ابو عبد الله محمد بن محمد بن عيسى الحميرى . تحدث عنه المؤلف كذلك فى « الكتيبة » ص 158 ـ 162 ، تحت عنوان « طبقة من خدم ابواب الامراء من الكتاب والشعراء » مشيرا الى ان هذه الطبقة متميزة من بين الادباء ، موردا له امثلة من شعره .

بالاعباء ، راقيا فى دوح التغريب والاجتباء ، مصانعا دهـره فى زاح وراحة ، آويا الى فضل وسماحة ، وخصب ساحة . فكلما فرغ من شأن خدمته ، وانصرف عن رب نعمته ــ عقد شربا ، وأطفا ــ من الاهتمام بغير الايام ــ حربا . وعكف على صوت يستعيده وطرف يبديه ويعيده فكلما تقلبت بالرياسة الحال ، وقوضت منها الرجال ــ استقر بالمغرب قريبا ، يقلب طوقا (21) مستريبا وتنحط الدنيا تبعة عليه وتثريبا ، وان كان لم يعدم من أمرائها حظوة وتقريبا . وما برح يبوح بشجنه ، ويرتاح الى عهـود وطنـه .

ومن ذلـك فى وصـف :

10 ــ الكاتب أبى بكر بن العريف

بقية الظرفاء مـن ديوان الحساب . أى نفس صافية من الكـدر (87 : أ) وضدر طيب الورد والصدر . ودوحة عهد تندى أوراقها ، ومشكاة فضل يستطيع اشراقها . تمسك برضاع الكأس ، يرى ذلك من حسن عهده ، وقسم لحظاته بين آس الرياض وورده . فلما حوم حمامه للوقوع ، وكاد يقوض رحله عن الربوع وشعر بحبائل المنية تعتلقه ، وسرعان خيل الاجل ترهقه ــ أقلع عن فنه ، وأمر بسفك دنـه . ولجأ الى الله بأوبته ، وضرع الى الله فى قبول توبته وغفران حوبته فكـان ذلك عنوان الرضا ، وعلامة عفـو الله عما مضى .

دخلت عليه فى مرضه ، وأشرت باستعمال الدواء المسمى بـ : «لحية التيس » عند الاطباء ، واستعمله ، فوجد بعض خفة فأنشدنى فى ذلك من نظمه مـا ثبت فى الكتاب المذكور .

---

21) فى نسخة أخرى . « طرفا » وهو الاوفق .

* تجدر الاشارة الى ان لابن الخطيب مؤلفات فى الطب اشهرها كتاباه : « عمل من طب لمن حب » ، « الاصول فى حفظ الصحة فى الفصول » عدا رسائل صحية متفرقـة .

ومن ذلك فى وصف :

11 ـ الشيخ أبى عبد الله المتأهل

كثيف الحاشية معدود فى جنس السائمة والماشية (87 . ب) تليت على العمال به سورة الغاشية (22) تولى الاشغال السلطانية ، فذعرت الجبال لولايته ، وقامت قيامتهم لطلوع آيته ، وقنطوا كل القنوط ، وقالوا . جاءت الدابة تكلمنا وهى احدى الشروط (23) من رجل صائم الحشوة ، بعيد عن المصانعة والرشوة . يتجنب الناس ، ويقول المخاطبة لامساس ، وعلى مساحته ونجهه ، وتجهم وجهه . كان خالطا اساءته باحسانه ، مشتغلا بشانه ، غاضا من عنان لسانه .

عهدى به فى الافعال يقدم فيها ويدبر ، ويترجم ويعبر ويحبط ويتبر وهو مع ذلك يكبر ، ويحسن من الازمة ويقبح ، وهو يسبح . ولما شرع فى البحث والتنقير ، والمحاسبة على القطمير والنقير ـ أتاه قاطع الاجل ، فحث ركابه باقصى العجل .

وصدرت عنه أبيات خضم فيها وقضم ، وحصل تحت القدر المشترك مع من نظم .

ومن ذلك فى وصف :

12 ـ الشيخ أبى عبد الله بن ورد

(122 : أ) لودن حلبة الآداب ، وسنور عبد الله بيع بقيراط لما شاب . هام بوادى الشعر مع من هام ، واستمطر منه الجمام . فجاء بأبيات أوهن من بيت العنكبوت نسجا ، ومقاصد لا تبين قصدا ولا نهجا . وله بيت معمور بقضاة أكابر فرسان أقلام ومحابر . وعمال قادوا الدهر

بأزمة أزمتهم ، وقرعوا الزهر بهمتهم . وتكاثرت عليه ــ رحمه الله ــ الاحن ، ومقاومته المحن . وتصرف آخر عمره فى بعض الاعمال المخزنية . فتعلل بنزر القوت ، الى الاجل الموقوت .

ومن ذلــك فى وصــف :

13 ــ « الشيخ أبى عبد الله العراقى الوادى آشى »

معدود ــ فى وقته ــ من أدبائــه ، ومحسوب فى أعيان بلــده وحسبائه . كان رحمه الله من أهــل العدالة والخير ، سائرا علــى منهج الاستقامة أحسن السير . وله أدب لا يقصر عن السداد وان لــم يكن بطلا فمن يكثر فى السداد .

وقد أثبت له ما عثرت عليه مما ينسبه الناس اليــه .

14 ــ «أبى جعفر الجوال المالقى »

معتر غير قانع ، ومنتجع كل شهم ويافع . نشأ ببلده بمالقة . أبرع من أورد ليراعه فى نفس ، وهز غصنها فى روضة طرس . الا مــا كان من سخافة عقله وقعوده تحت المثل أخبر نقله . لا يرتبط الى رتبة ، ولا ينتمى الى عصبة ، ولا يتلبس بسمت ، ولا يستقيم من أمت .

أخبرنى من عنى بخبره ، وذكر عبره ، من صباه الى كبره ، أنه رشح فى بعض الدول ، وعرض لاكتساب الخيل والخول ، وخلعت عليه كسوة فاخرة ، وشارة بزهر الرياض ساحرة ، فانقاد طوع حرمانــه ونبذ صفقة زمانه . وحمله فرط النهم على أن ابتاع فى حجرها طعاما

كثير الدسم . وأقبل وأذياله منه تقطر كما اختلفت باللبن الاشطر . فطرد ونبذ وطرح بعدما جبـل .

لقيته بمالقة وقد تغلبت عليه زمانه ، وسقطت فى يديه فانتابنـى بأمداحه ، وتعاورنى بأجاجه وقراحـه .

(123 : أ) ومن ذلك فى وصف :

15 ــ « أبى الحسن الدراد المالقى »

أديب نار فكره تتوقد ، وأريب لا يعترض كلامه ولا ينتقد . أمـا الهزل فهو طريقته المثلى ، ركض فى ميدانها وجلى ، وطلع فى أفقهـا وتجلـى ، فأصبح علـم أعلامها ، وعابر أحلامها . ان أخذ بهـا فى وصف الكـاس ، وذكر الورد والآس ، وألـم بالربيع وفصلـه ، والحبيـب ووصلـه ، والروض وطيبـه ، والغمام وتقطيبـه ــ شق الجيـوب طربا ، وعل النفوس أريا وضربا . وان أشفق لاهتلال العشية ، فـى فرش الربيع الموشية ، ثم تعداها الى وصف الصبوح ، وأجهز علـى الزق المجروح ، وأشار الى نغمات الـورق ، يرفلن فى الحلل الزرق ، وقد اشتعلت فى عنبر الليل نار البرق ، وطلعت بنور الصباح فى شرفـات الشرق ــ سلب الحليم وقاره ، وذكر الخليع كاسه وعقاره ، وحرك الاشواق بعد سكونها ، وأخرجها من وكونها . بلسان يتزاحم علـى موارد الخيال ، ويتدفق من حافاته (123 : ب) الادب السيال . وبيان يقيم أود المعانى ، ويشيد مصانع اللفظ محكمة المبانى ، ويكسو حلل الاحسان جسوم المثالث والمثانى . الى نادرة لمثلها يشار ، ومحاضرة يجنى بها الشهـد ويشـار .

وقد أثبت من شعره المعرب ــ وان كان لا يتعاطاه الا قليلا ، ولا يجاوره الا تعليلا ــ أبياتا لا تخلـو من مسحة جمال على صفحاتها ، وهبة طيب ينم فى نفحاتهـا .

ومن ذلــك فى وصــف :

16 ــ الاديب أبى الاصبع عزيز بن مطرف

ظريف السجية ، كثير الاريحية . من لورقة فتحها الله ، واتخذ المرية دارا ، وألف بها استقرار ، الى أن دعاه بها داعيه ، وقام فيهــا ناعيــه ، رحمه الله .

أنشدنا الحكيــم أبو عبد الله بن حبينى المروى من شعره ، قال : أخذته عمن ينشده ، فقلت : به الثقــة .

ومن ذلــك فى وصــف :

17 ــ الاديب أبى عبد الله بن فضيلة

(124 : أ) شيخ أخلاقه لينة ، ونفسه ــ كما قيل فى نفس المومن ــ هينة . ينظم الشعر عذبا مساقه ، محكما اتساقه . على فاقة ، وحالــة مالها من افاقة . أنشد المقام الكريم بظاهر بلده قصيدة استغرب منه منزعها ، واستعذب ــ من مثله ــ مشرعها .

ومن ذلــك فى وصــف :

18 ــ أبى القاسم الورشيــدى

من أيمة أهل الزمام ، خليق برعى المنات والذمام ، ذو حظ كما تفتح زهر الكمام ، وأخلاق أعذب من ماء الغمام . كان ببلده ــ رحمه الله ــ بدر اشراقة محاسبا ، درا فى لجة الاغفال راسبا . صحيــح

العمل يلبس الطروس من براعته أسنى الحلل . وله شعر لا بأس به ، ولاخفاء بفضل مذهبـــــه .

ومن ذلــك فى وصــف :

19 ــ أبى الحجاج بن مرزوق الرندى

خير استبق الى داعى الفلاح استباقا ، وانتمى الى القوم الذين هم فى الآخرة أطول أعناقا ، وان كانوا فى الدنيا أضيق (124 : ب) أرزاقا مردد أذكار ، ومسبح أسحار ، وعامر مئذنة ومنار . كان ببلده مؤذنا بجامعها ، وموقتا بأم صوامعها . ومعتبرا فيمن كان بها من السدنة . وممن يشمله قوله : فكأنما قرب بدنه . وله لسان مخيف ، وشعر سخيف . توشح بحليته ، وجعله وسيلة كربته .

ومن ذلــك فى وصــف :

20 ــ القاضى أبى بكر بن منظور

عظيم الهشة حسن اللقاء ، أغرب فى حسن المدارات من العنقاء . استمر عمره بتسديد للحكم ، وصبر على حجج الصم والبكم . وأفرط فى شدته وهزته ، وتنزل عن نخوة القضاء وعزته . وله سلف فى القضاء عالى المراقب ، مزاحم للنجم الثاقب .

وقد أثبت من شعره ما تيسر اثباته . ونجم بروض هذا المجموع .

ومن ذلــك فى وصــف :

21 ــ القاضى أبى جعفر بن برطال

قاض توارث كل جدالة ، لا عن كلالة . ومجمع فى العلم الحسب ، بين الموروث والمكتسب ، أشرف بجيد معم فى (125 : أ) العشيرة مخول ، وألقت اليه مقاليدها من منقول ومتأول . الى نزاهة لا تعرف

البيضاء ولا الصفراء ، وحلم لا تستهويه السعاية ولا يستفزه الاغواء . ووقار يستخف الجبال الراسية ، ونظر يكشف الظلم والغاشية .

تولى قضاء الحضرة فأنفذ الاحكام وأمضاها ، وشام سيوف العدالة وانتضاها ، ولبس أثواب النزاهة والانقباض فما نضاها ، وسلك الطريق التى اختارها السلف وارتضاها . فاجتمعت الاهوال المفترقة عليه ، وصرف الثناء أعنة الالسن اليه . ثم كر الى بلده ، واستقر خطيبا بقرارة أهله وولده .

ومن ذلك فى وصف :

22 — الفقيه أبى عامر بن عبد العظيم

منتم الى معرفة ، متصف من الذكاء بأحسن صفة . أقرأ ببلده علم اللسان ، وما حاد عن الاحسان . وعانى الشعر فنظم قوافيه ، وما تكلف فيه . وعلى غزارة مادته (125 : ب) ووضوح جادته . فشعره قليل البشاشة ، ذاهب الحشاشة ، وذو الاكثار كثير العثار ، وله سلف يخوض فى الحقايق ، وينتحل بعض الكلام الرايق .

ومن ذلك فى وصف :

23 — الفقيه أبى عثمان الغلق

متسم بدين وعفة ، آو الى نفس بالغرض الادنى مستخفة . ممن ينزع الى سلوك ورياضة ، ويفيض فى طريق القوم بعض افاضة .

ومن ذلــك فى وصــف :

24 ــ أبى عثمان بن عثمــان

ممن يتشوف الى المعارك والمقالات ، ويرتاح الى الحقايـــق والمحالات . ويشتمل على نفس رفيقة ، ويسير من تعليم القرآن على خير طريقة . ويعانى من الشعر ما يشهد بنبله ، ويستطرف من مثله .

ومن ذلــك فى وصــف :

25 ــ المقرى أبى القاسم الجرارى

مشمر فى الطلب عن ساق ، مثابر على اللحاق بدرجات الحذاق . منتحل للعربية ، جاد فى احصاء خلافها ، ومعاطاة سلافها . وربما شرست فى المذاكرة أخلاقه ، اذا بهرجت أعلاقه ، (126 : أ) ونوزع تمسكــه بالحجة واعتلاقه . ورحل الى المغرب ، فاستجدى ــ بالشعر ــ سلطانه ، ثم راجــع أوطانــه .

ومن ذلــك فى وصــف :

26 ــ الفقيه الصوفى أبى جعفر العاشق

منتم الى زهد ، باذل فى التماس الخير كل جهد . نظمه لا يخلو من حلاوة ، ومعانيه فى طريقه عليها بعض طــلاوة .

ومن ذلــك فى وصــف :

27 ــ أبى القاسم الساحلــى

كاتب سجلات ، لا يساجل فى صحة فصولها ، وتوقيع فروعها على أصولها . وكلما طلب بالنظم القريحة ، وأعمل الفكرة الصريحة ، مــع اقلاله ، وعدم استعماله ــ أجابت ولبت ، وتنسمت رياحها وهبــت .

ومن ذلــك فى وصــف :

28 ــ أبى القاسم عبد الله بن أبطيح

عدل ، وممن له وقار وفضل . متسم بخير ، مشتمل بصفــات مرضية ، يلم بالنظم فى الطريقة الصوفية .

ومن ذلــك فى وصــف :

29 ــ أبى الحسن على بن عبد العزيز بن قيس

(126 : ب) ممن يركض مركب الطيش ، ويأوى بعد الجهد الى شظف العيش . منقبض عن الخلق ، سالك من التعيش بالتعليم أفضــل الطرق . لا يعدم مع ذلك حملا عليه ، وتسببا بمواجدة اليه .

قصدنى ــ وقد نبا به الوطن ، وضاق منه ــ للتغرب ــ العطن ــ يطلب منى شفاعة الى بعض القضاة ممن كان يطلبه ، ويقبل فيه شهادة من يثلبــــه .

ومن ذلــك فى وصــف :

30 ــ أبى الحسن السالك الفرناطى

متسور على بيوت القريض ، فى الطويل من الكلام والعريض ، جامع منها بين الصحيح والمريض . ممن أطاعته براعة الخط ، وسلمت لقضب أقلامه رماح الخط . عانى كتابة الشروط الاول أمره ، ولحقته محنة دهره . وهو ــ الآن ــ يشهد من الامور المخزنية فى بعض الالقاب ، ويلازم دار الحســاب .

ومن ذلــك فى وصــف :

31 ــ الوزير أبى جعفر بن المدانى

صاحب طبع يحثه ، وشجو لا يزال يبثه وباطن متوقد ، (127 : أ) وفكر لزوايا الفنون متعقد خدم فى كبار الاعمال . وقاد أزمة الاموال ، وترقى فى البساط السلطانى رتبا رفيعه المنال . ولسلفه فى الخدم العملية الاشتهار ، والبراعة الواضحة كما وضح النهار .

وشعره واضح السهولة ، جار على المآخذ المقبولة .

ومن ذلــك فى وصــف :

32 ــ الحاج أبى عبد الله الشديد

شاعر مجيد ، حولى الكلام . ولا يقصر فيه عن درجات الاعلام . رحل الى الحجاز لاول أمره وجدة عمره . فطال بالبلاد المشرقيه ثواؤه ،

وعميت أنباؤه . وعلى هذا العمل وقفت على قصيدة بخطه ، عرضها تبيل، ومرعاها غير وبيل . تدل على نفس ونفس ، واضاءة قبس .

ومن ذلك فى وصف :

33 ـ أبى الحسن الرعينى

يخوض فى الادب ، ويتمسك منه ببعض السبب ، وعن مثله واضح المذهب ، وهو رجل صالح ومذهبه فى الفضل (127 : ب) واضح .

ومن ذلك فى وصف :

34 ـ « الفقيه الخير أبى عبد الله الشكاز الاندرشى »

لبق ذكى ، طبعه غير بكى ، سكن البادية اماما ، وأم بها أعواما ، وله فى ذلك مقامة ، حلت من الظرف مقاما ، واستوفت من الذكاء أقساما .

ومن ذلك فى وصف :

35 ـ العدل أبى عبد الله القطان

ممن نبغ ونجب ، وحق له البر بذاته ووجب . تجلى بوقار ، وشعشع للادب كاس عقار ، الا أنه اخترم فى اقتبال ، وأصيب للاجل بنبال .

ومن ذلك فى وصف :

36 ـ الوزير أبى عبد الله بن سلبطور

مجموع شعر وخط ، وذكاء عن درجة الظرفاء غير منحط ، الى مجادة أثيلة البيت ، شهيرة الحى والميت (128 : أ) نشأ فى حجر

الشرف والنعمة ، محفوفا بالمالية الجمة . فلما عقل عن ذاته ، وترعرع بين لذاته ، ركض خيول لذاته ، فلم يدع منها ربعا الا أقفره ، ولا عقارا الا عقره ، حتى حط بساحلها ، واستولى بسفر الانفاق على جميع مراحلها ، الا أنه خلص بنفس طيبة وسراوة سماؤها صيبة ، وتمتع ما شاء من زير ويم ، وأنس لا يعطى القيادة لهم ، وفى عفو الله سعة ، وليس مع التوكل عليه صعه .

ومن ذلك فى وصف :

37 ـ العدل أبى عبد الله بن مشتمل البلبانى

ممن يعد ويحسب ، وينمى الى الفضل وينسب ، أدواته بارعة ، وخصاله فارعة ، من خط طريف ، وأدب وتأليف .

ومن ذلك فى وصف :

38 ـ المؤلف أيضا رضى الله عنه

سلمان * انتسابى ، وبالمعارف الادبية اكتسابى ، والى العلوم قد نشأ ارتياحى ، وفى حلبة أرباب النظر مغداى ومراحى (128 : ب) على نهاية من ترف النشأة ، وغر البدأة ، الى أن اشتملت على الدولة النصرية اشتمالة ، ونظمتنى بين بدورها الكوامل هلالا ، فسموت فى رتب اعتنائها . حالا فحالا ، وتأثلت ما شئت جاها ومالا ، وجعلت مشاركة الخلق ثمالا . فأنا اليوم ولله ولها الحمد عطارد فلكها ، وزبرقان حلكها ، ودليل مسلكها . أقوم بين يدى سريرها والوفود قعود ، وأجلوا الغيم عن شمسها والجو بروق ورعود ، وأبادر نداءها ان كانت هيعة ، وأمسك منها اليمين ان همت بتجديد بيعة ، فمن اختال فى حلل هذا التشريف

---

* سلمان : بلدة فى اليمن ، نزحت منها اسرة المؤلف ، حيث استقرت بالاندلس .

غنى عن التعريف ، وأما شعرى فى امتداحها فمثل سائر ، وطائر فى الآفاق ميمون الطائر ، وأما كتابتى عنها فأبهى من وجوه البشائر ، وأحلى من الشهد فى يد الشائر . نستغفر الله ، فهذا مقام من نأى عن جنسه ، ورضى عن نفسه ، كم دون ذلك من تقصير يبدو لعين نافذ بصير ، ستر الله عيوبنا وبلغنا (129 : أ) من كمال السعادة الابدية مطلوبنا بمنه .

ومن ذلك فى وصف :

39 ـ أبى عبد الله بن سلمة الكاتب

فارس خصال حميدة ، وراشق الى هذه الاصابة بسهام سديدة ، فان جلى فى المهارق احسانه ، أو أعمل فى الرقاع بيانه ، حسد عطارد ظرفه ، وحدق المشترى الى تلك البضاعة طرفه .

دعى الى الكتابة فاقتعد مطاها ، وأدار كئوسها وعاطاها ، ولم يزل يجيل جياده فى كل ميدان ، ويبدى من براعته ما ليس لسواه بمثله يدان ، حتى تأود دوحه ، وتعطر روحه . ثم رمل بعدما ثوى ، وأحدث عقب ما نوى ، وجنح الى خطة الاشراف ، فحمل وما أجمل ، وأغفل خطة الحزم وما تأمل ، وأهمل سنن الاشراف فيما أهمل . وألجأه ضيق عطنه الى فراق وطنه .

وينتحل شعرا يسطع أرجه ، ويسمو منعرجه .

ومن ذلك فى وصف :

40 ـ أبى بكر بن مقاتل *

خلف وبقية ، ونابغة مالقية ، ومغربى الوطن أخلاقه (129 : ب) مشرقية . أزمع الرحيل الى المشرق ، مع اخضرار العود وسواد المفرق

* سبق أن ترجم له المؤلف فى القسم الاول (40) مع خلاف لا يكاد يذكر فى بعض التعبيرات .

فلما توسطت السفينة اللجج ، وقارعت الثبج ، هال عليها البحر فسقاها كأس الحمام ، وأولدها قبل التمام . وكان فيمن اشتملت عليه أعوادها ، وانضم على نوره سوادها ، جملة من الطلبة والادباء ، وأبناء السراة الحسباء . أصبح كل منهم مطيعا لداعى الردى وسميعا ، وأحبوا فرادى وماتوا جميعا . فملأوا الضلوع حزنا ، وأرسلوا العبرات عليهم مزنا . وكان البحر لما طمس سبل خلاصهم وسدها ، وأهال هضبة سفينتهم وهدها ، غار لدررهم النفيسة فاستردها .

والفقيه أبو بكر ــ مع اكثاره ، وانقياد نظامه ونثاره ــ لم أظفر من أدبه الا بالقليل التافه ، بعد وداعه وانصرافه .

ومن ذلــك فى وصــف :

41 ــ أبى عبد الله الشريشى

طالب نبيل ، لا يلتبس من مذاهبه سبيل . أبوه وراق هذه الاقطار ، التى طار اشتهارها كل المطار ، فقلما نجد بليدا (130 : أ) مذكورا ، بل بيتا معمورا الا وبه من خطه شىء معروف ، ان لم تلف منه صفوف أو ألوف . ونشأ ابنه طالبا ذكيا . وفطنا لوذعيا ، وفاضلا سريا .

ومن ذلــك فى وصــف :

42 ــ أبى عبد الله اللــؤلــؤة

فاضل منقبض ، مضطلع بحبل الرواية منتهض . رحل الى الحجاز الشريف ، وهو اللؤلؤة لفظا ومعنى . وتجمل فى العناية بالرواية وتعنى ، وكلف بها كلف قيس بلبنى ، حتى هصر منها كل المجنى ، وظهرت عليه بركة مقصدها الاسنى . وآب الى بلاده . وهو خلق جديد ، وظل عفافه

عريض مديد ، فاجتلب من الفوائد الشرقية ، والطرف المأثورة عمن لقى من البقية ، ما أوجب له نيل المزية ، ونبل الرحلة الحجازية .

ولم يلبث أن هلك بحصن قمارش بلد أهله ، وخبت أنوار فضلـــه ، رحمـــه اللـــه .

من ذلـــك فى وصـــف :

43 ــ أبى عبد الله بن خاتمـــة

حسن الشيمـــة ظريفها . مقبول النزاعـــة طريفها . لبيتـــه فى (130 : ب) خدام الجباية شهرة ذائعة ، ونهاية شائعة ، فهم فرسان الازمة ، وقوام تلك الامور المهمة . حاد عن طريقتهم ، ومال عن مرافقة فريقهم ، وجنح الى العدالة ، وأنف من الادالة . فتحلى بالخيريـــة وتوشح ، وترقى بسببها وترشـــح .

من ذلـــك فى وصـــف :

44 ــ أبى يحيى بـــن داود

متحل من الحياء والعفاف ، بأحسن الحلى والاوصاف ، مستظل من فضل سلفه بروح دانى القطاف . أبوه ــ رحمه الله ــ شيخ العمال ، الذى لا يدافع عن منقبة جليلة ، ولا يزاحم فى باب مأثرة جميلة ، وجاء ولده هذا جاريا على عقبه ، سالكا على السبيل الاليق به ، لولا أن الحمام اخترمه سريعا ، وأذبل منه غصنا مريعا .

من ذلــك فى وصــف :

45 ــ أبى عبد الله بن البقــاء

هشوش مقبول ، متخلق حمول ، ووعده بالمشاركة مفعول . تعرض بالباب العلى واقتحم ، وتقدم فما أحجم ، وأنشد قصيدة (131 : أ) أحكم ايرادها بصوت شج ، ونغمة لباس حسنها غير رث ولا منهج . فوقع عليه القبول ، وتسنى له من النعمة المأمول . واتصل له ذلــك فصحلت حاله ، ونجحت آماله . وعلى كونه لو كان شعرا لكان من شواهد بيت الخفيف ، أو مثلا لكان حجة الاهوج على الحصيف . فهو ــ من أهل الذكاء ــ معدود ، وله ــ فى السراوة والمشاركة ــ مذهب محمود .

من ذلــك فى وصــف :

36 ــ أبى عبد الله الطشكــرى

كهام الحد ، ملقى عند العد . جهد أن يلحق فقصر باعه ، ونبت طباعه ، ولا يخلو ــ مع ذلك ــ من نبل وانقباض ، وذكاء فى بعــض أغــــــراض .

من ذلــك فى وصــف :

47 ــ أبى عبد الله بن مشرف

ممن يمت بحسب ، ويرجع الى نظم وأدب . وينتحل ــ علــى ضعف الادوات ــ شعر رائقا ، وبالطلبة الغــر لائقــا .

من ذلــك فى وصــف :

48 ــ أبى جعفر أحمد بن رضوان بن عبــد العظيـــم

(131 : ب) شاعر طبع ، وعامر حى ــ من الادب ــ وربع . حجة من حجج الغزائر ، فى العالم الحائر . يتدفق تدفق الفرات ، ويتبع الفرات ، وينتبع المعانى كأنما يطلبها بالترات ، فيأتى بكل عجيبة ، وينتج البديع بين طبع فحل وفكرة نجيبة ، ويتلقى داعى البيان بنفس سميعة مجيبة ، من غير اقتناء لادواته ، ولا اعتناء بذاته . الا أنه يلابس أرباب الطلب ، فربما حصل مما يريد على الارب .

من ذلــك فى وصــف :

49 ــ أبى عبد الله بن هانـــى

جملة حسب ووقار ، وبراعة تمد اليها المهارق كف افتقار . نظمته الدولة اليوسفية فى سمط كتابها ، وأظلته بظل جنابها ، وطلب لهذا العهد نفسه بالادب ، وتمسك منه بالسبب . فصدر عنه من ذلك ما يسظرته على البداية ، ويدل ــ ان استتب ــ على فضل النهاية .

من ذلــك فى وصــف :

50 ــ الكاتب أبى عمرو بن زكرياء

يتوسل فى الكتابة ، ويكافح منها بحدين ، ويستند من الجهتين اللوشية والمرابطية الى مجدين . وأما أبوه (132 : أ) ــ رحمه الله ــ

فحظه زين الزين ، وطرفة النفس وقرة العين ، فان نجب ونهض ، فهو عرق نبض ، ، وان جنح الى قصور ، فغير معذور .

من ذلك فى وصف :

51 — الحاج أبى العباس الفراق

لسان بالشعر يهتف ، ويد بالكدية تنتف لا يبالى ألبس من القول جديدا أورثا ، أو كان سمينا من الشعر أو غثا ، أو نظم بسيطا أو مجتثا . انما مهمته فى قافية حاضرة ، وخواطر منه خاطرة ، وسماء نوال ماطرة . ومع ذلك فخفيف الجانب ، سهل المذانب . يخوض من فروع الفقه لجه . ويوضح منها حجة .

مدح بهذه الابواب كدا ، وتعرض وتصدى ، وكتب عن الامراء فما حاد عن السنن الحسن ولا تعدى .

من ذلك فى وصف :

52 — الكاتب أبى العباس الملیانى

صاحب العلامة بالمغرب ، الكاتب الفاتك ، والصارم البائر . أى اضطراب فى وقار ، واهتضام للعظائم واحتقار ، وغنى فى افتقار ، وتجهم تحته أنس العقار .

اتخذه ملك المغرب (132 : ب) صاحب علامته ، وتوجه تاج كرامته . وكان يطالب جملة من أشياخ مراكش بثار عمه ، ويطوقهم دمه بزعمه ، ويقتصر على الانتصار منهم بنات همه ، اذ سعوا به حتى اعتقل ، ثم جدوا فى أمره حتى قتل . فترصد كتابا الى مراكش يتضمن

أمرا جزما ، ويشتمل من أمور الملك عزما ، جعل فيه الامر بضرب رقابهم ، وسبى أسبابهم ، ولما أكد على حامله فى العمل ، وضايقه فى تقدير الاجل ، تأنى حتى علم أنه وصل ، وأن غرضه قد حصل ، وفر الى تلمسان وهى بحال حصارها ، واتصل بأنصارها ، حالا بين أنوفهـــا وأبصارها . وتعجب من قراره ، وسوء اغتراره ، ورجمت الظنون فـــى آثاره . ثم اتصلت الاخبار بتمام الحيلة ، واستيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة ، فتركها شنيعة على الايام ، وعارا فى الاقاليم على حملة الاقلام . وأقام بتلمسان الى أن حل مخنق حصرها وأزيل هميان الضيقة عـــن حصرها ، فلحق بالاندلس ولم يعدم برا ورعيا (123 : أ) مستمرا ، حتى أتـــاه حمامه ، وانصرمت أيامه .

من ذلـــك فى وصـــف :

53 ـ أبى أسحق بن سعيـــد

مقدور عليه ، محفوف بالحاجة من خلفه ومن بين يديه . من رجل يهتف باضطلاع العلوم ، ويهدر بالشعر هدر المحموم ، ثقل حتى خف ، وكثف حتى شف . الا أنه لا ينقبض من بسط ، ولا يلقى جعد المزاج الا بخلف سبط . ولم يكن خلوا من فائدة يلقيها ، وطرفـــة ينتقيها ، وأفادته الرحلة الحجازية لقاء أعلام ، ومصابيح اظلام ، كان يطرف بمحاسنهم المجالس ، ويفصح بانوارهم النهار الشامس .

وله سلف صالح ، وأدب ضعفه واضح .

من ذلـــك فى وصـــف :

54 ـ أبى العباس أحمد بن عبد الحق

قدم الاندلس عربى المرمـــى ، بادسى المنتمـــى ، يتعاطـــى الادب والتدوين ، ويسترفد الامراء والسلاطين . وقصدنى لاريش جناح أمله ،

وأكون ذريعة الى نجح عمله ، ورفع لى (133 : ب) كتابا فى السياسة لا يخلو من نبل ، وسلوك طرق للانفاق وسبـــل .

ومن ذلـــك فى وصـــف :

55 ــ الشريف أبى عبد الله العمرانى

كريم الانتماء مستظل بأغصان الشجرة الشماء ، من رجل سليم الضمير ، ذى باطن أصفى من الماء النميـــر .

له فى الشعر طبع يشهد بعروبية أصوله ، ومضاء نصوله . وقـــد أثبت من شعره ما يتضح ــ فى البلاغة ــ سبيله . ويشهد ــ بعتقه ــ صهيلـــــــــه .

ومن ذلـــك فى وصـــف :

56 ــ أبى عبد الله بن جابر الكفيف

محسوب فى طلبتها الجلة ، ومعدود فيمن طلع بأفقها من الاهلة . رحل الى المشرق وقد أصيب ببصره ، واستهان ــ فى جنب الاستفادة ــ بمشقة سفره . وشعره كثيـــر .

ومن ذلـــك فى وصـــف :

57 ــ الاديب أبى اسحاق بن الحاج

من أدباء المؤدبين ، ونبلاء المتسرعين الى النظم المنتدين . لـــو أدركه الجاحظ فى أوانه لكان طرفة من طرف ديوانه ، غريب فى أحكامه ،

معتن بمده وقصره ورويه (134 : أ) واشمامه . جهير النغمة عند رد سلامه ، محسن الظن بما يصدر عنه من كلامه وشعره من النمط الذى يؤنس فى الاسحار ، ويجرى من الفكاهة على مضمار .

ومن ذلـك فى وصـف :

58 ـ « الاديب ابن حرب اللـه »

راقم راشى ، رقيق الجوانب والحواشى . تزهى بخطه المهارق والطروس ، وتتجلى فى حلى ابداعه كما تجلت العروس . الى خلـق كثير التجمل ، ونفس عظيمة التحمل . وود سهل الجانب عذب المشارب .

لما قضيت الوقيعة العظمى بظاهر طريف ، ـ أقال الله عثارها ، وعجل آثارها ـ فرق به موج ذلك البحر ، وأفلت افلات الهدى المقرب للنحر . ورمى به الى رندة الفرار وقد عرى من أثوابه كما عرى العرار . فتعرف للحين بأدبيها المفلق ، وبارقها المتألق ، أبى الحجاج المتشافرى * فراقه بشر لقائه ، ونهل ـ على الظماء ـ فى سقائه . وكانت بينهمـا مخاطبات أنشدنيها بعد ايابه ، وأخبرنى أنه نسى بها (134 : ب) ماكان من ذهاب زاده ، وسلب ثيابـه .

ومن ذلك فى وصف :

59 ـ أحـد الفضـلاء

فلان ـ وان كان أشد الناس عناية بعمامة تلوى ، وطيلسان يسوى وتاج واكليل ، وزى جميل ، وكم ينال الارض بزلومة فيل ـ فجاهد فى

* لقـد سبق ان ترجم لـه المؤلـف .

عدم الغنا صدره ، وجانبه ــ مع العز ــ شكره ، ونادرته على ذلك وعصفه فجة . لو دخل كورة النحل ، أو سكن قرية النمل ، مستأثرا من أميرها بتقريب ، أو حاصلا من رئيسها على حظ غريب ، لتلون من أخيه ، وشمخ بأنفه على فصيلته التى تؤويه ، مسكرا من شراب لمع السراب ، واقتتاب بروز الحظ المنزور . فاذا أدال الصحو من الشملة ، أو عدم قبول النملة ، أو طوى الديوان ، تمنع بأسه الاخوان . فماأراه باستكتاب القائل من أمر ريح الجنوب بالهبوب . ومن أذن للغمام الهدام، ومن الذى ينظر بعينيه الزرق نوار الكتان ! ! ؟

رفقا بنفسك ــ سيدى ــ رفقا
فالظن أن تبرأ أو أن تشقى

أما مزاجها فهو معتدل
لكن أظن خيالك استسقى

ومع ذلك فمحاضرته لا تحصر أجناس أبيه ، وزهر لا يمل منتشقه ومجتليه ، الى طلعة لا تقتحم ولا تزدرى ، وأبهة ما كان حديثها يفترى .

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها ! ؟
كفى المرء فخرا أن تعد معايبه